بلغة السالك لأقرب المسالك

إلى

مذهب الإمام مالك

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد الصاوى المالكى

وبهامشه

الشرح الصغير للقطب الشهير: أحمد بن محمد الدردير

تقديم ومراجعة

الأستاذ / أحمد محمد عتمان صبّار و الدكتور / حسن بشير صدّيق

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغة السالك لأقرب المسالك

إلى

مذهب الإمام مالك

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م

الـدار السـودانيـة للكـتب
Al Dar Al Soudania for Books

طبـاعـة
ونشـــر
وتـــوزيـــع

Printing,
Publishing
& Distribution

السـودان ــ الخرطـوم ــ ش البلدية ، ص .ب: ٢٤٧٣،ت:٧٨٠٠٣١/ ٧٧٠٣٥٨، برقيا: توزيعدار
Sudan-Khartoum-Baladeya St.,P.OBox:2473,Tel:780031/770358 Telg:"TOUZIDAR"

مقدمة الكتاب

هذا هو كتـاب "بلغة السّالك لأقرب المسالك إلي مذهب الإمـام مالك" . وأصل هذا الكتاب مـجموعة الحـواشي الّتي حرّرها الشّيخ الصّاوي(١) ، علي متن "أقـرب المسـالك لمذهب الإمام مالك" ، وعلي الشّرح الصّغيـر ، وهو شرحٌ للمتن المذكور . ومتن "أقرب المسالك" و "الشّرح الصّغير من تأليف الشّيخ أحمد الدّردير» (٢) . وقد نظّمنا إخراج هذه

---

(١) هو الشيخ أحمد بن محمّد الخلوتي المالكي ، وقد اشتـهر بين العلماء بالصّاوي ، نسبةً إلي قريته في إقليم الغربيّة بمصر ، وبها كان مولده سنة ١١٧٥ هـ . وبمصـر كانت نشأته وكان تعليمه الّذي ابتدأه بالقرءان الكريم حفظا وفهما ، وختمه بقـمّة الدّراسة للفقه الإسلاميّ ، علي مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس .

كان الشـيخ الصاوي يمنّي نفـسه بالذّهاب إلي المدينة ، وكـان يكرّر دائما أنّ الإيمان يأرز إليـها ، مسـتهدياً بحـديث رسول اللّه (ﷺ) . وحين أتيـحت له سانحةٌ سـافر إليهـا علي جناح الشّوق ، وطابت له الرّحلة الّتي يتمنّاها طول حياته ، وطابت له الإقامة بجوار الرّسول (ﷺ) .

وبالمدينة المنورة كانت حيـاته عامرة بمجالس العلم ، وتدريس طلاب الفقـه خاصّة هؤلاء الرّاغبين في دراسة المتن والشرح والحاشية موضوع هذا الكتاب الأساس . وبالمدينة كانت وفاته سنة ١٢٤١ هـ عن ستٍّ وستّين سنةً .

وبعدُ الشّيخ الصّاوي من عـلماء الصّفّ الأوّل ، في فقـه المالكيّة ، وأشهر كـتبه "بلغـة السالك لأقرب المسـالك إلي مذهب الإمام مـالك" . وله من المؤلفات غيـره : حاشيةٌ علي شـرح الخريدة البهيّة ، وحاشية الصّاوي علي تفسير الجلالين ، وشرح الصّاوي علي جوهرة التّوحيد .

(٢) هو الشّيخ أحمـد بن محمّد بن أحمد بن ابي حـامد المالكيّ الأزهريّ ، وقد كان مـولده ببني عدي بمصر سنة ١١٢٨ هـ . وقد اشتـهر بالدّردير . والّلقب في الأساس لأبيـه وجدّه . وكان النّاس علي عهد أبيه الشيخ محمد يقولون : إن لقب الدردير صار أظهر علي الحفيد من الأب والجدّ .

وقد كان أبوه الشّيخ محمّد من العلماء الصّالحين ، الحافظين للقـرءان ، المشتغلين بتعليمه للصّبية وللفقراء حسبةً للّه تعالي . وقد بشّر الأب الصّالح الشّيخ محمد ابنه أحمد - وهو في سنّ العاشرة- بأنّه سيكون من العلماء الكبار في أمّة الإسلام .

اصطحب أحمد بشري أبيه ، وحفظ القرءان وهو صغيرٌ ، وكان مجوّداً له ، عاملاً به . وبرز في تعلّمه وتعليمـه لسائر علوم الشّريعة والعربيـة ، خاصّة الفقه الإسلامي علي مـذهب الإمام مالك . وقد صار مشهوداً له بهذا الفنّ ، حتّي أطلق عليه الشّيخ الصّاوي لقب "مالك الصّغير" .

فالشّيخ أحمـد الدّردير هو الّذي شرح أكبر كتـابٍ في الفقه المالكيّ ، وهو "مخـتصر خليل" ،

الطبعة لأمر فنّيٍّ متّصلٍ بالعنوان الأول للكتاب "بلغة السّالك" ، ولأنّ "بلغة السّالك" قياساً إلي متن الدّردير وشرحه شغل المساحة الكبري من الكتاب ، فهو نحو أربعة أخماس المتن والشّرح . لهذا جعلنا "بلغة السّالك" في القسم الأعلي ،المتن والمن والشّرح في القسم الأسفل .

ولو كان الأمر مرتّباً علي أهمية الأساس والأصل لكان العكس صحيحاً ؛ إذ الأصل متن الشّيخ أحمد الدّردير : "أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك" ، وشرحه المسمّي "الشّرح الصّغير" ، ويأتي "بلغة السّالك" بعد ذلك حاشيةً للمتن والشّرح المذكورين .

إذن يمثّل الكتاب منظومةً وافيةً للفقه الإسلامي ، علي مذهب إمام دار الهجرة ؛ مالك ابن أنس . وهي منظومةٌ من ثلاث دوائر يكمّل يعضها بعضاً ، وترتيبها حسب الأصل وأسبقية التّأليف يكون علي النّحو التّالي :

أ- أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك .

ب - الشّرح الصّغير .

جـ - بلغة السّالك لأقرب المسالك إلي مذهب الإمام مالك .

ومن هنا تتضح أهميّة هذا الكتاب لطلاّب الفقه الإسلامي علي مذهب الإمام مالك . فالمسألة مقرّرة باختصارٍ - يسهّل الحفظ والسّيطرةَ علي الدّرس - في المتن . فإنْ لم يفهم الطّالب دلالة نصّ المتن لسببٍ يتعلّق بالعبارة الموجزة الّتي تسم المتون عادةً ، أو لسببٍ يتصل بمقدرة الدّارس نفسه ؛ فإنّه يلجأ إلي الشّرح .وإن كان الطّالب متخصّصاً أو باحثاً أو طالباً المزيدَ ،حيث تفصيل المسائل المجملة ، وتقييد المسائل المطلقة ،وإطلاق المقيّدة ، حيث يقتضي فهم المسائل ذلك ؛ وجد مبتغاه عند الشّيخ الصّاوي، في حاشيته "بلغة السّالك" .

ولتوضيح الفكرة النّظريّة بالمثال العملي ؛ ننقل هذه الفقرة من الكتاب ، وهي توضّح

وهذا الشّرح هو المسمّي "الشّرح الكبير" . وقد أورد فيه خلاصة ما ذكره الأجهوري والزّقاني ، واقتصر فيه علي الرّاجح من الأقوال في المسائل الفقهيّة . وله من الكتب غير "الشّرح الكبير" وغير المتن والشّرح موضوع هذا الكتاب مؤلفاتٌ قيّمة . منها : شرح الخريدة في علم التّوحيد . ومنها : حاشي الدّردير علي قصّة المعراج .

كانت وفاة الشّيخ الدّردير بمصر سنة ١٢٠١هـ ، عن ثلاثٍ وسبعين سنةً ، وصلّي عليه خلقٌ كثيرٌ بالأزهر . وقد دفن بمشهدٍ عظيمٍ بضريحه المشهور بالكعكيّين . وهكذا حظيت مصر بمالك الصّغير ؛ مولِداً ومنشأً وتعليماً ومدفناً .

هذا التّرتيب والتّرابط بين المتن والشرح والحاشية [(١)] :

في المتـــن : "وتأديب من أساء عليه بمجلسه" .

وفي الشّرح : "(و) ندب (تأديب من أساء عليه) أي علـي القاضي (بمجلسه) للحكم ، كأن يقـول له : حكمك باطلٌ ، أو أنت تحكم بغير الحقّ ، أو تأخذ الرّشوة ، أو لو كـان لي جاه أو أعطيتك مـالاً لحكمت لي أو لقبلتَ شهادتي ونحو ذلك."

وفي الحاشيـة : "(قوله وندب تأديب من أساء عليه) مـا ذكره المصنّف من ندب تأديب من أساء عليـه هو ظاهر كلام ابن رشد، وظاهر كلام بن عـبد السّلام وجوب التّأديب لحرمة الشّرع. وهذا كلّه إذا أساء علي القاضي. أمّا إذا أساء علي غيره، كشاهدٍ أو خصمٍ فالأدب واجبٌ قطعاً كما في بن".

فالكتـاب اذن مجهـودٌ علميٌّ متـميّزٌ ، تعرّض للتّأليف والشّرح والـتّقويم منْ ثلاثة من علماء المذهب الكبار ، مجهـود كلّ منهم له قيمةٌ خاصّةٌ ، وبه ثقةٌ كبيـرةٌ في ميدان تحقيق العلم . فكيف إذا كان المجهود لثلاثتهم مجتمعين .

وثلاثة العلماء المعنيّين هم :

الشيخ خليل بن إسحق الجندي .

والشّيخ أحمد بن محمّد الدّردير .

والشّيخ أحمد بن محمّد الصّاوي .

فأصل متن "أقـرب المسالك" و "الشّرح الصّغـير" إختـصارٌ من الشّيخ أحـمد الدّردير لكتابه : "الشرح الكبـير" ، وهو شرح مختصـر خليل بن اسحق . وكان قد اختـصر فيه علي أرجح الأقوال ، وعلي المسائل المعتمدة في مذهب الإمام مالك .

وجاء دور الشّيخ الصّاوي تلبيةً لطلبٍ مـن الشّيخ صالح السّباعي ، الّذي رغب إليه أن يكتب حاشيةً تناسب متن الدّردير وشرحه شمولاً وسهولةً وقرب مأخذٍ [(٢)] .

(١) بلغة السّالك ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢ ، طبعة الحلبي - مصر .

(٢) كان هدف الشّيخ الدّردير من شرْحه لمتنٍ من صنعته ، أنّه وجد فيه صعوبةً علي المبتدئين ، ورأي فى الشّرح تسهيلاً للفهم لهم ولغيرهم من طلاّب الفقه علي مذهب الإمام مالك .

وقد كتب الشّيخ الصّاوي حاشيته علي ضوء هذه الأهداف ، وسمّاها "بلغة السّالك لأقرب المسالك إلي مذهب الإمام مالك" . والشّيخ الصّاوي يعتقد أنّه صنع هذه الحاشية لأحسن ما ألّف في مذهب الإمام مالك متناً وشرحاً من المختصرات ، ويعني بذلك "أقرب المسالك" و "الّشرح الصّغير" .

وفي اعتقاد الشيخ أحمد الصّاوي أنّ أفضل من يقرّر المسائل الفقهيّة بعد مالك بن أنس الشّيخ أحمد الدّردير ، وهذه دلالة تسميته للدّردير بمالك الصّغير .

إن هذا الكتاب بوصفه الّذي قدّمنا يغطّي كلّ مسائل الفقه الإسلامي علي مذهب الإمام مالك ، وفيه الغناء والاكتفاء للطّلاّب المبتدئين ، ولمتوسطي المعرفة الفقهيّة ، ومع ذلك فهو مرجّع لا يستغني عنه طلاّب الجامعات والباحثون والمتخصّصون في الميدان .

وقد آثرنا إخراج هذه الطّبعة في أربعة أجزاء ، ليسهل علي الطّالب أن يحصل علي الجزء الّذي يقصد دراسته ؛ ذلك أنه ربما يكون هناك عسرٌ علي بعض الطُلاب أن يحصلوا علي النسخة كاملة . وهناك فوائد أُخر كثيرةٌ لهذا التّقسيم ، من بينها التّشويق بالنتقال من جزء لآخر ، ومن ذلك ناحية فنّيّةٌ متّصلةٌ بجودة التّجليد ، وجمال المنظر .

وقد جاء تقسيمه علي النّحو التّالي :

الجزء الأوّل : ويشمل خطبة الكتاب ، وخمسة أبواب رئيسةٍ هي أبواب :

الطّهارة ، والصّلاة ، والزّكاة ، والصّوم ، والاعتكاف .

الجزء الثاني : ويشمل الأبواب الرّئيسة :

الحجّ ، والأُضحية ، والذكاة ، والمباح ، واليمين ، والجهاد ، والمسابقة، والنّكاح، والظّهار ، واللّعان ، والعدّة ، والرّضاع ، والنّفقة .

الجزء الثالث : ويشمل الأبواب الرئيسة :

البيوع ، والسّلم ، والقرض ، والرّهن ، والفَلَس ، والحجر ، والصّلح، والحوالة ، والضّمان ، والشّركة ، والوكالة ، والإقرار ، والوديعة ، والإعارة ، والغصب ، والشُفعة ، والقسمة ، والقراض ، والمساقاة ، والإجارة ، وإحياء الموات ، والوقف ، والهبة ، واللّقطة .

الجزء الرّابع : ويشمل الأبواب الرّئيسة

القضاء ، والشّهـادة ، والجناية ، والبغي ، والرّدة ، والزّنا ، والقذف ، والسرقة ، والحرابة ، والخمر ، والعتق، والتّدبير ، والكتابة، وأمّ الولد، والولاء، والوصيّه ، والفرائض ، وجملٌ من مسائل شتّي ، والخاتمة .

ولله الشكر قبلا وبعداً ، وبتوفيقه تتمّ الصّالحات

أحمد محمد عثمان صبار

حسن بشير صديق